التَّعايُش فِي ضَوْءِ التصوُّرِ القرآني النبوي–ماليزيا أنموذجا

د. أحمد عبد القادر حسن قطناني: أستاذ مساعد في كلية دراسات القرآن والسنة/جامعة العلوم الإسلامية الماليزية–ماليزيا
anic 'Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany-Assistant Professor of Tafsir Al Quran- Faculity of Qur
.and Sunnah Studies - Islamic Sciences University of Malaysia

مُلخَّص

يهدف البحثُ إلى توضيحِ مفهومِ التَّعايُش السلميّ المجتمعيّ، وبيانِ أهدافِه وأصولِه ومرتكزاتِه بحسب التصوُّراتِ الكليّةِ للشريعةِ الإسلاميَّة، ونقدِ التجاوزاتِ الأيديولوجيَّةِ الحداثيَّةِ التي تبرِّرُ التَّعايُشَ متجاوزةً الأصولَ العامَّةَ للمنظور الدينيّ، وقد وظّف الباحث تلكَ المفاعيلَ الأساسيَّةَ التي أرساها الإسلامُ في التعاملِ مع الآخرِ في إدارةِ الاختلافاتِ الدينيَّةِ والاجتماعيَّةِ والسياسيَّةِ من خلال طرح التعايش في ماليزيا كنموذج يمكن أن يحتذى في العالم. وقد اتَّبعُ الباحث المنهجَ الوصفيَّ طريقا للوصولِ إلى النتائجِ المبتغاةِ عبر تأصيلِ مبدأِ التَّعايُش السلميّ من وجهة النظرِ الدينيَّة السمْحةِ دون إفراطٍ أو تفريط. ويتوقع بعد الدراسة الوصول إلى نتائج عديدة من أهمها: بيان أن التَّعايُش فكرة قرآنية ومبدأ إسلامي قائم على فهم الآخر في إطار من التنوع والاختلاف، وعلى الرغم من رشاد الفكرة السلمية للتعايش مع الآخر إلا أن ذلك محاط بسياج من عدم الذوبان والاندماج وفقدان الشخصية والتنازل عن المقاصد الشرعية للفكرة الإسلامية المشرقة.

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، التصور القرآني النبوي، التعامل مع الآخر، غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، أدب الاختلاف.

Al " Peaceful co-existence through Islamic perspective a critical study of novel "oon'ih'Ta

Abstract

The aim of the current study is to identify the concept of peaceful and social co-existence as well as to indicate its objectives, origins and principles based on the entire traditional Islamic vision. The present study attempts to criticize the modern ideologies that justify the surpassing the general principles of religious perspective in terms of the co-existence. The two researchers will use the basic points and pillars that Islamic religion anchored in dealing with Non-Muslims in terms of their "oon'ih'Al Ta" political, social and religious differences through comparing these differences with the Descriptive and analytical approach will be used .Amin Maalouf novel (The Disoriented) written by in the current study to achieve the abovementioned objectives and obtain promising outcomes via rooting and referring the issue of peaceful co-existence based on the friendly religious perspective without excessing or negligence. This research combines in its folds several sciences, including the .sciences of Sharia, psychology, sociology and literature

Keywords: Peaceful co-existence, The Disoriented novel, critical study, dealing with Non-Muslims, Non-Muslim in Arabic communities, discussion management, morals of discrepancy .

أولا: المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مسألة التعايش السلمي أو التعايش الأهلي قضية خطيرة ومهمة، وتؤرق جميع المجتمعات في جميع الأزمنة والأمكنة، وخاصة تلك المجتمعات التي تتعدد فيها العرقيات والأجناس، وتختلف فيها الأديان والمذاهب والطوائف، ولذلك كان لا بد من النظر والبحث في تعاليم الإسلام الدين الخاتم الذي جاء للناس كافة ورحمة للعالمين، لمعرفة منهجه وطريقته وتأصيله ونظره لهذا الموضوع الحساس، ومن هنا تكمن أهمية البحث، وتزداد أهميته من خلاله ضرب نموذج للتعايش لبيان إمكانيته وعدم استحالته.

إشكاليَّة الدراسة: انتشرت في الآونة الأخيرة من القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين خاصة، أفكار وأيديولوجيات تدعو إلى التَّعايُش الداخلي في المجتمعات دون النظر إلى الديانات، فاشتجرت الآراء حوله ما بين الداعمة والرافضة، والدراسة هذه تحاول فكّ الاشتباك من خلال النظر إلى الأصول المتفق عليها في القرآن والسنة والسيرة، وطرح نموذج لذلك التعايش المطلو في ماليزيا.

أسئلة الدراسة:

1. ما المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتعايش ؟
2. كيف ينظر الإسلام لمبدأ التَّعايُش ؟
3. ما النموذج الذي يمكن أن يحتذى في هذا المضمار؟

أهداف الدراسة:

1. تأصيل مفهوم التَّعايُش من منظور إسلامي وبيان الأصول الكلية.
2. نقد مبدأ التَّعايُش الحداثي عبر فضح التجاوزات المتبعة .
3. إشاعة جو من الأمن المجتمعي في إدارة الحوار وأدب الاختلاف.

–ثانيا : التَّعايُش في اللغة والاصطلاح:

–المطلب الأول: التَّعايُش لغة: تَعَايَشَ أَهْلُ القَبِيلَةِ عَلَى الوُدِّ وَالْمَحَبَّةِ وَالأُلْفَةِ: تَسَاكَنُوا فِي عَيْشِهِمْ، عَاشُوا مُجْتَمِعِينَ فِي وِئَامٍ. والمصدر: تَعَايُشٌ.

–المطلب الثاني: التَّعايُش اصطلاحا: يقصد به أن يعيش الرجل مع الخلق، فيسلم منهم وينصفهم من نفسه، فيلقى الله عَزَّ وجَلَّ، وقد أدى إليهم حقوقهم، وسلم بدينه بين ظهرانيهم.

إن التَّعايُش السلمي بين البشر على اختلاف أديانهم ومشاربهم وعقائدهم ولغاتهم وأجناسهم وأعراقهم وألوانهم ضرورة حياتية لا يستغني عنها أحد في أي زمان ومكان، والإسلام بتعاليمه السمحة يؤكد على ذلك. وقد شاءت إرادة الله أن تكون التعددية من السنن الثابتة، قال تعالى:" ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ". (هود :118)

فقد أراد الله تعالى إرادة قدرية كونية أن تتعدد الأفكار وتختلف الأديان، وأن يتعايش الناس في سلام، ولذلك رفض الإسلام فلسفة الصراع التي تقوم على أن يزيل القوي الضعيف، وينهي التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف الذي هو سنة من سنن الله في سائر المخلوقات.

ونورد هنا بعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية وبعض الشواهد والمواقف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، التي تؤصل لهذا الموضوع المهم في واقعنا المعاصر؛ لنستخرج منها المبادئ الإسلامية الأساسية في التَّعايُش السلمي:

–ثالثا: الآيات القرآنية التي تدل على ترسيخ مبدأ التَّعايُش:

أولا: قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا". [سورة الإسراء:70]. وهذه المكانة للإنسان حظي بها لمجرد إنسانيته، دون النظر إلى أي شيء آخر، لا لدينه ولا لعقيدته ولا لعرقه ولا لجنسه ولا للونه ولا للغته. يقول الآلوسي: "أي جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوي كرم، أي شرف ومحاسن لا يحيط بها نطاق الحصر" ، وعلى هذا الأصل ينبغي أن يتم التَّعايُش بين الناس جميعا.

ثانيا: قوله تعالى:"لا إكراه في الدين" ، فهذه الآية تقرر حرية العقيدة واختيار الدين، على أن يتحمل المرء بعد ذلك نتيجة عمله، وقد أكد القرآن على ذلك ببيان أن مشيئة الله اقتضت ذلك، ولو أراد الله لجعل كل الناس مؤمنين، ومع تأكيد القرآن الجازم أن الإسلام وحده هو دين الله الحق، وما عداه فغير مقبول، إلا أنه يؤكد –إلى جانب ذلك– على حرية اعتقاد الإنسان في هذه الحياة، وهذا الإقرار هو من أجل ضمان التَّعايُش بين جميع الناس وإن اختلفت دياناتهم. يقول سيد قطب: إن قضية العقيدة – كما جاء بها هذا الدين – قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار.إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان. فالذي يسلب إنسانا حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداء.

لقد كفل الإسلام حرية الاعتقاد والعبادة لغير المسلمين، قال تعالى:" فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" .

ومما يجدر ذكره هنا، هو أن التَّعايُش لا يقتضي الذوبان والاندماج في الآخر، بل لكل دينه ومنهجه ومبادئه، لذلك لا يجوز أن يتنازل المسلم عن ذلك من أجل التَّعايُش، فالتَّعايُش ممكن مع وجود اختلاف المذاهب والديانات.

ثالثا: قوله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة". (الحج: 17). يعترف القرآن بوجود أتباع الديانات الأخرى، وإن كان يرى أن الحق إنما هو في دين الإسلام فقط، وهذا

الاعتراف منه بهم ليضمن التَّعايُش السلمي بين أتباع الديانات جميعا. ويربي القرآن الكريم المؤمنين على ذلك ليتعايشوا مع واقعهم، وليعلموا أن هذا هو قدر البشرية إلى يوم القيامة.

رابعا: قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون".)الممتحنة 8-9).

تمثل الآية أصلا عظيما ومبدأ قويما في تأصيل مفهوم التَّعايُش الذي يدعو إليه القرآن والإسلام؛ ففيها يوصي القرآن المؤمنين بضرورة التَّعايُش السلمي مع غيرهم، وبوجوب حسن التعامل مع المخالفين لهم في الدين، ما لم يكونوا معتدين محاربين مقاتلين.

قال ابن عاشور: "ويؤخذ من هذه الآية جواز معاملة أهل الذمة بالإحسان وجواز الاحتفاء بأعيانهم".

ويقول ابن القيم:" القتل إنما وجب في مقابلة الحراب لا في مقابلة الكفر، ولذلك لا يقتل النساء ولا الصبيان ولا الزمنى والعميان ولا الرهبان الذين لا يقاتلون).

خامسا: قوله تعالى :" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى". (النساء:8)

هذه الآية تؤكد على وجوب العدل مع الخصم حتى لو كنت كارها له، وعلى عدم جواز الاعتداء على الناس حتى لو فعلوا ذلك هم، وإنما الجواز في رد الاعتداء بالمثل فقط، وهذا يكون في حق المسلم وغيره.

يقول الرازي:" لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساءوا إليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إيحاشكم، فهذا خطاب عام" . فانظر إلى أي حد راعى الإسلام العدل في التعامل مع الآخرين من المخالفين في الدين. وفي التأصيل الديني للتصور الفكري والسلوكي للمنهج الإسلامي موضوعة الكراهية والتباغض في ضوء التنوير الإسلامي يبين محمد رشيد رضا في تعليقه على قوله تعالى: " ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا "..(المائدة:2):" وأما الاعتداء على من تبغضونهم فلا يباح لكم وأنتم حل، كما أنه لا يباح لكم وأنتم حرم، وإن كانوا صدوكم عن المسجد الحرام من قبل، وهذا لا يمنع من الجزاء على الاعتداء بالمثل؛ لأنه نهي عن استئناف الاعتداء على سبيل الانتقام" .

نعم، إنَّ الكراهية للإسلام والمسلمين في الغرب لها جذور دينية يمينية متطرفة يغذيها الإعلام، والمؤسسات البروتستانتية، فقد أشار تقرير للجزيرة إلى أن أكثر من (260) جريمة كراهية ضد المسلمين سجلت في الولايات المتحدة عام 2016 .

ويبدو أن الصورة المشوَّهة والتربية الدينية والتحريض الإعلامي هي أسباب لبروز تلك النزعة وسيرانها وانتشارها، وما مذبحة مسجد النور في نيوزلندا إلا شاهد على تلك الكراهية التي تستدعي التاريخ والماضي والصراع الحضاري... والإسلام يقعِّد

قاعدة عامة في القرآن:" وقولوا للناس حسنا" (البقرة:83) دون خشونة في الأسلوب واللفظ والحركات، بل لقد أكد ذلك في حق المخالفين تحديدا فقال:" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم" (العنكبوت: 46).

هذه بعض الآيات التي تبين التأصيل القرآني لنهج التَّعايُش ومبادئه، والتسامح بين أبناء البشر على اختلاف أديانهم ومذاهبهم. ويعلق الدكتور عبد العظيم المطعني قائلا: "هذه الأدلة القرآنية قطعية الثبوت والدلالة معا على أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي علاقة سلام ".

وقد اكتفينا بها نظرا لما تقتضيه طبيعة الأوراق البحثية، ولكن الآيات المعززة لذلك والمؤكدة عليه كثيرة جدا، فقد أحصى ابن عطية الآيات التي تؤيد المذهب السلمي التَّعايُشي فوجدها مائة آية وأربع عشرة آية .

–رابعا: الأحاديث النبوية ودعوتها إلى التعايش

أما أقواله صلى الله عليه وسلم فكثيرة، نختار منها اثنين لتدلل على غيرها:

الأول: يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: " من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة".

لقد أوجب رسول الله التعامل الحسن مع غير المسلمين من أهل الكتاب، إلى درجة أنه هو نفسه صلى الله عليه وسلم سيكون خصم من يظلمهم يوم القيامة، فهو يريد أن يؤسس منهجا مهما، أن التعامل بالحسنى لا يقتصر على المسلمين بعضهم مع بعض، بل يمتد إلى غير المسلمين وبخاصة المقيمين في دار الإسلام، فلا يجوز ظلمهم ولا انتقاص حقهم ولا تكليفهم فوق طاقتهم إذا عملوا لهم ولا أخذ شيء منهم بغير طيب نفس.

والثاني: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا" . يدل هذا الحديث على سماحة الإسلام الذي يحفظ حرمة العهد والميثاق، ويدل كذلك على حرمة قتل غير المسلمين الذين دخلوا في جوار المسلمين وأمانهم وعهدهم.

قال العلامة القاري: " قال علماؤنا: خصومة الذمي أشد من خصومة المسلم ".

وهذا الكلام يؤكد مقدار فهم العلماء لتشديد النبي صلى الله عليه وسلم في حقوق غير المسلمين المعاهدين.

ولذلك يتبنى فهمي هويدي القول القائل: "هذا الدين أقر لغير المسلمين ليس فقط بحقوقهم الفردية والجماعية، بل وأيضا بالمواطنة الشاملة في عصرنا الحاضر الذي زال فيه نظام الذمة، لكي يحل محله نظام الحريات العامة المنطوية لزاما على مبدأ المساواة التامة في المواطنية".

كما ويشكل الرفق تيمة مركزية في السنة المطهرة حتى مع الخصم، والحديث التالي يؤكد ذلك." عن عائِشَةَ رضي الله عَنْها قالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ على رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقالوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قالَتْ عائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا، فَقُلْتُ:

وَعَلَيْكُمُ السَّامُ واللَّعْنَة، قالتْ: فَقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَهْلاً يَا عائشةُ! [عَلَيْكِ بالرِّفْق]، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمْرِ كُلِّهِ، فَقُلتُ: يَا رَسولَ اللهِ! وَلَمْ تَسْمَع مَا قالُوا؟ قالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم: قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ ".

وكذلك يقف التصور الإسلامي موقفا رادعا ضد التطرف، ويحث على الاعتدال والتوسط في كل شيء، بل ويذم التنطع والتشدد والتعسير، ففي السنة النبوية أحاديث تنعى على المتشددين «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وَإِنِّي لَأَرَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – كَانَ أَشَدَّ خَوْفًا عَلَيْهِمْ أَوْ لَهُمْ».

-خامسا: وثيقة المدينة المنورة وأسس التعايش المشترك

وهي من الأدلة التطبيقية العملية من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم:وفيها من علو مبادئ التسامح والتَّعايُش والمعاملة الحسنة مع غير المسلمين ما يقنع الألباب بعظمة هذا الدين وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم.

عقد الرسول هذه المعاهدة مع اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة، بالرغم من أنهم يبطنون العداوة والبغضاء له ولدينه، ولكنه اكتفى منهم بالظاهر، ولم يبعدهم أو يخاصمهم.

وإذا نظرنا إلى نص المعاهدة نجدها تحتوي على مبادئ أصيلة في التعايش السلمي نذكر أهمها:

أولاً: « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم». وهذه القاعدة الأساسية التي تتماشى مع الحقيقة القرآنية الكبرى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}؛ وفي هذا دليل على عملي على حفظ حرية الدين والمعتقد لغير المسلمين الذين يشتركون معهم في وطن واحد.

ثانيًا: «وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم» وهذا يدل على استقلالهم اقتصاديا بعيدًا عن ذمَّة المسلمين المالية.

ثالثًا: «وإن بينهم النصر على مَنْ حارب أهل هذه الصحيفة». وهذا يدل على أنه إذا هوجمت المدينة، فإن على الجميع بمقتضى حقِّ المواطنة الدفاع عنها وحمايتها.

رابعًا: «وإن النصر للمظلوم». والعدل أصل أصيل وركن أساس في استقرار الدول والشعوب. وقد جعل اللفظ مطلقا فالنصر ليس للمظلوم المسلم، بل للمظلوم وإن كان غير مسلم أيضا.

يظهر بشكل واضح اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بشخصه ودينه وأخلاقه بمسألة التعايش، وحفظ حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ومنهجه في ذلك أنها مسألة مبدئية لا يعمَد إليها المسلمون مضطرين أو مهزومين؛ بل هي ركن أصيل من اليوم الأول لقيام دولة الإسلام الوليدة.

وإنه من اللافت للنظر أن بنود هذه الوثيقة تتفق مع ما يقوله الدكتور فهمي هويدي في كتابه:"مواطنون لا ذميون" : "يجب اعتبار غير المسلمين في المجتمع الإسلامي مواطنين من الدرجة الأولى مثلهم مثل باقي المسلمين، وهم شركاء أصليون في أوطان المسلمين وديارهم".

ومع التسليم بأن الدولة الإسلامية لا تجبر أصحاب العقائد الأخرى في تحريم الخمر، لأن وثيقة المدينة بينت أن للمسلمين دينهم ولليهود دينهم، وقد كان يعلم رسول الله صل الله عليه وسلم في ذلك الوقت أن دينهم محرف وباطل، ولكن هذا لم يجعله يحرم عليهم ما يحللون هم لأنفسهم في دينهمٍ، إلا أنها لا تسمح لهم بالمتاجرة بها في أحياء المسلمين ولا نشرها بينهم، وما نراه اليوم من محلات بيع الخمور في البلاد العربية والإسلامية فهو مخالف لتعاليم الدين، وفقه التصور الإسلامي .

" وأفتى علماء الإسلام بأنه لا يجوز تمكين غير المسلمين من بيع الخمور ظاهراً في أمصار المسلمين وبلادهم؛ لأن إظهار بيع الخمر إظهار للفسق، فيمنعون من ذلك، نعم لهم أن يبيعوا الخمر بعضهم لبعض سراً، كبيع لحم الخنزير؛ لأنها أموال معتبرة عندهم".

يؤكد البحث أن التَّعايُش لا يعني الاندماج والذوبان في الآخر، لا في تقليد الملبس، ولا في طعام الآخر ولا حتى في أسمائهم ، فالشخصية الإسلامية لا بد أن تكون شخصية مستقلة في جميع مناحي الحياة، نعم ثمة حرية في اختيار الاسم بما لا يتناقض مع أصول العقيدة، فلا ينبغي التسمية بأسماء الآلهة التي تعبد من دون الله، كما لا يجوز التسمية بالرموز الكفرية والأصنام، وقد تفاءل العربي بالأسامي وتشاءم منها، هذا وأحب النبي أسماء وكره أخرى.

عن سَعيد بْنِ المسَيَّبِ أن جَدَّهُ حَزْناً قَدِمَ على النبيّ – صلى الله عليه وسلم –، فقال: "ما اسْمُكَ؟ ". قالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قالَ: "بلْ أنْتَ سَهْلٌ"، قالَ: ما أنَا بِمُغَيِّرٍ اسماً سَمَّانيهِ أَبي. قال ابنُ المسَيَّبِ: فما زالَتْ فِينَا الحُزُونَةُ بَعدُ. . وعن ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»

ويرى الفقهاء أنه لا حرج في الأسماء التي تدل على الجمال والخلال الطيبة بما لا يتنافى مع أصل عقدي منصوص عليه، فمجد ورامي وكرم ودانة وتالا وكفاح لا حرج فيها، والله أعلم.

وأشير هنا إلى قضية حسنة الطرح في هذا الباب أننا نحن المسلمين نسمي بأسماء الأنبياء موسى وعيسى وزكريا ويحيى، ولكن الآخر يترفع عن التسمية بأسماء إسلامية.

سادسا: ماليزيا نموذجا على التعايش السلمي

كثيرا ما يمدح الناس بعامة التجربة الديمقراطية الغربية التي غالبها نصارى في التعامل مع الأقليات والمسلمين بخاصة، ولكنا نجد في هذه الأيام تنامي العنصرية الدينية ضد المسلمين (الاسلامفوبيا)، والاجتماعية كذلك كتفوق العنصر الأبيض على الأسود. بينما نجد أن تعامل المسلمين الذين يعيشون في مجتمعات ذات أغلبية مسلمة تعامل الأقليات غير المسلمة بطريقة أفضل وأحسن. ومن هذه النماذج الواضحة تجربة ماليزيا.

توالت على هذه التجربة الأوصاف الدالة على نجاحها الرائد، فهناك من وصفها بالنموذج الرائع كما جاء في الموسوعة العربية العالمية التي قالت عند الحديث عن ماليزيا (وعلى الرغم من المشاكل والحساسيات العرقية، فإن ماليزيا تعد نموذجا رائعا للتعايش العرقي).

وهناك من وصفها بالتجربة الفريدة، كما جاء في الكتاب المشترك للباحثين الأمريكيين أستاذ الأديان والتاريخ في جامعة جورج تاون الأمريكية الدكتور جون أسبوزيتو، وزميله في الجامعة أستاذ التاريخ الدكتور جون فول، ونعني به كتاب: (الإسلام والديمقراطية) الصادر سنة 1996م، وجاء في مفتتح الحديث: تقدم ماليزيا تجربة إسلامية فريدة، فهي مجتمع متعدد الإثنيات والأديان، وجاء في خاتمة الحديث: نجحت ماليزيا على امتداد تاريخها في بناء دولة تعددية.

ومثل هذا الانطباع عن نجاح التجربة موجود عند الماليزيين، ويتحدثون عنه بنوع من الفخر والاعتزاز، وقد ظل هذا الانطباع حاضرا في خطابات وأحاديث رائد نهضة ماليزيا الحديثة الدكتور مهاتير محمد الذي يرى في كتابه (الإسلام والأمة الإسلامية.. خطب وكلمات مختارة) أن تاريخ شبه جزيرة مالايا يشكل أنموذجا للتعايش السلمي بين السكان الأصليين المسلمين، وبين غير الملايويين الذين يعتنقون ديانات أخرى... وقد نجحت البلاد في المحافظة على الاستقرار والسلم الاجتماعي، برغم ما يتوفر بها من إمكانات الانفجار ممثلة بالتعددية الدينية.

أمثلة عملية تطبيقية على التعايش:

1. القيم الآسيوية

اعتبر الدكتور محمد بشير أن نجاح تجربة التنمية في ماليزيا حصلت نتيجة تفاعل بين القيم الثقافية الإسلامية والقيم الثقافية الصينية، وحسب قوله: إن القيم الثقافية الإسلامية التي تتبناها الأغلبية، والقيم الثقافية الصينية التي مثلتها الأقلية، تفاعلت بعضها مع بعض في تسامح وانسجام، وقادت إلى تجربة تنموية ناجحة.

من جانب آخر، وجد الملايويون أن القيم الآسيوية تصلح أن تكون بديلا عن القيم الغربية، التي يتوجه إليها النقد الثقافي والأخلاقي بوصفها تمثل تهديدا واختراقا وتخريبا لقيم وثقافة المجتمع الماليزي، هذه الموازنة والاقتراب منها أعطت الأفضلية للقيم الآسيوية، لكونها وثيقة الصلة بالمجتمع الماليزي، وباعتبارها تمثل قيما شريكة في نهضة البلد وازدهاره، ومن ثم فلا خشية من هذه القيم ولا خوف منها، بل الخشية والخوف من القيم الغربية.

2. الدين الرسمي للدولة

مما ذكره مهاتير محمد في كتابه أنه يلاحظ في البلدان التي يكون فيها الدين الرسمي للدولة هو في ذات الوقت دين السواد الأعظم للسكان، لا تشكل حرية ممارسة الشعائر الدينية فيها هاجسا يشغل البال، وهنا تكمن ضرورة فهم الدين الرسمي، فإذا كان الإسلام الذي هو الدين الرسمي لماليزيا، بدا غامضا وتتم ممارسة شعائره في

الخفاء، فإن ذلك يشكل سببا كافيا للاعتقاد بأن السلطات الرسمية سوف تسعى لفرضه على أتباع الديانات الأخرى، وستضع العقبات أمام ممارسة العقائد الأخرى، وتعمل جاهدة لحمل المواطنين من غير المسلمين على اعتناق الإسلام.

3. شعيرة الصلاة والأذان :

إزاء هذا الواقع تقتضي الضرورة أن يمارس المسلمون في ماليزيا شعائر دينهم أمام الناس، وفي وضح النهار، من دون تخف أو عزلة بغض النظر عن معتقدات بقية المواطنين، وفيما لن يطلب من غير المسلمين في ماليزيا المشاركة في الطقوس الدينية الإسلامية، ينبغي في الوقت نفسه عدم حرمانهم من فرص التواجد وحضور أداء تلك الطقوس، لذلك نجد أن أداء الصلاة في ماليزيا وما يصحبه من تلاوة وغيرها لا يقلق أحدا، وهو أمر مقبول من كافة السكان، وبإمكان أي فرد من أفراد المجتمع الماليزي أن يؤدي شعائر دينه بمثلما يفعل المسلمون في عباداتهم.

4. توزيع لحوم الأضاحي والهدايا:

وفي مناسبة عيد الأضحى يتم توزيع اللحوم في القرى والبعيدة والقريبة والنائية والتي يسكنها السكان الأصليون، وفي غالب الأحيان يشمل توزيعها الجيران من غير المسلمين، مع أن الأضحية شعيرة إسلامية تعبدية، ويتم توزيع الهدايا لأطفال المسملين وغير المسلمين كذلك. .

5. ومن بماذج التعايش السلمي، في حالة حدوث الفيضانات، يقوم المسلمون بمبادرات طيبة تجاه غير المسلمين، استشعارا بالأخوة الإنسانية والإنتماء الوطني.(www.ikram.com)

خاتمة:

ومهما يكن من أمر هذه الدراسة وما طرحته من إشكاليات وقضايا للتعايش في مجتمع يعج بالطائفية وتعدد العقائد، وما أحدثه ذلك من حروب أهليه حصدت عشرات الآلاف من البشر في سبعينيات القرن الماضي، إلا أن الدراسة حاولت تقديم حلول ونماذج لمسألة العيش بسلام فيما يوافق التصور الإسلامي، وقد حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة المطروحة في مقدمة البحث بالتأصيل الشرعي من جهة والتحليل التجريدي من جهة أخرى، وبعد هذا التفاكر والمساءلات حول ثلاثية الهوية والدين والطائفة، تسرد الدراسة بعض النتائج المنطلقة من إشكالية البحث وأسئلته وأهدافه كما يلي:

1-التَّعايُش فكرة قرآنية ومبدأ إسلامي قائم على فهم الآخر في إطار من التنوع والاختلاف.

2-على الرغم من رشاد الفكرة السلمية للتعايش مع الآخر إلا أن ذلك محاط بسياج من عدم الذوبان والاندماج وفقدان الشخصية والتنازل عن المقاصد الشرعية للفكرة الإسلامية المشرقة.

3-أصلت الدراسة لفكرة التَّعايُش من خلال سرد الآيات والأحاديث الدالة التي لا تُلبس على الفهم، وتعد مبادئ كلية حية في حياة النبي وصحابته.

4-التطرف والتشدد لا علاقته له بالدين الإسلامي ولا حتى بالشرائع الأخرى بل هو نتاج عملي للتفسير الخاطئ، وحب السيطرة، وصراع الحضارات.

5-على الدارس الذي يتصدى لترسيخ فكرة التَّعايُش في التصور الإسلامي أن يميز بين سمو الإسلام والتطبيق السلوكي للمسلمين.

6-على الغرب أن يدرس الإسلام دراسة موضوعية محايدة دون أحكام مسبقة ودون استحضار الماضي بكل حيثياته.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الآلوسي، شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
3. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ). ط1.
4. الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، (دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412 هـ - 2000 م).
5. أبو داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت).
6. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، (دار الكتب العلمية بيروت، 2004م– 1425هـ).
7. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، (الهيئة المصرية للكتاب، 1990م).
8. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (دار سحنون، تونس).
9. عثمان مانزو مختار موسى الموسى، القرآن الكريم والمساحة المشتركة في التعايش ماليزيا نموذجا، مجلة العبقري مجلة الثقافة الإسلامية والإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، العدد (22-2) عددخاص، 2020م.

10. أبو العزم، عبد الغني، الغني الزاهر، ط1، (دار الكتب العلمية، 1434هـ -2013م).
11. ابن عطية، عبد الحق بن محمد الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (طبعة وزارة الأوقاف القطرية، 1428 هـ - 2007 م). ط2.
12. القاري، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (دار الفكر، بيروت، 1422هـ - 2002م).
13. القحطاني، سعيد بن علي بن وهب ، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، 1421هـ.
14. قطب، سيد، في ظلال القرآن، (دار الشروق، مصر، 2003م). ط32.
15. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، (رمادي للنشر- المؤتمن للتوزيع، 1418هـ - 1997م).

16. المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، (دار الهلال، بيروت)، ط1.
17. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، (وزارة الأوقاف المصرية،2004م).
18. مسلم، ابن الحجاج، صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
19. المطعني، عبد العظيم إبراهيم، مبادئ التَّعايُش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة، (دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1996م). ط1.
20. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375هـ - 1955 م) ط2.
21. هويدي، فهمي، مواطنون لا ذميون، (دار الشروق، 1999م). ط3.
22. موقع قصة الإسلام، راغب السرجاني. https://www.islamstory.com
23. قناة الجزيرة، برنامج للقصة بقية.
24. موقع جمعية إكرام www.ikram.com)
25. موقع الأستاذ زكي الميلاد

:List of References

1. Al-Qur'ān Al-Karīm.
2. Al-'Ālūsī, Maḥmūd Al-Baghdādī, Rūḥ Al-Maʿānī fī Tafsīr Al-Qur'an Al-ʿaẓīm wa Al-Sabʿi Al-Mathānī, (In Arabic), (Beirut: Dār Iḥya' Al-Tturāth Al-ʿrabī).
3. Al-Bukhārī, Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī, (In Arabic), (Egypt: Maktaba Al-Īmān, 2003(
4. Abū Dāwūd, Sulaymān b. Al-Ashʿath, Sunan Abī Dāwūd, (In Arabic), taḥqiq: Muḥammad Muḥyīddīn ʿbdulḥamīd, (AL-Maktaba AL-ʿsrīyya, Ṣayda – Bayrūt).
5. Al-Ddārimī, ʿbdullah b. ʿbdurraḥmān, Sunan Al-ddārimī, (In Arabic), dar almughni, 2000.
6. Al-Rrāzī, Al-Ttafsīr Al-Kabīr, (In Arabic), (Ṭehrān: Dār Al-Kutub Al-ʿilmiyya).
7. Ridā, Muḥammad Rashīd, Tafsīr Al-Manār, (In Arabic), (Alhayʾa Almiṣriyya lilkitāb, 1990).
8. Ibn ʿāshūr, Muḥammad Al-Ṭṭāhir, Al-Ttaḥrīr wa Al-Ttanwīr, (In Arabic), (Tunis: Dār Saḥnūn,1997).
9. Abu Al-ʿzm, ʿbdul-Ghanī, Al-Ghaniyyu Al-Zẓāhir, 1st , (In Arabic), (Dār Al-Kutub Al-ʿlmiyya, 1434 -2013).
10. Ibn ʿtiyya, ʿbdulḥaqq b. Muḥammad Al-Andalusī, Almuḥarrar Alwajīz fi Tafsīr Alkitāb Alʿzīz, (In Arabic), (wazāra alawqāf Al-Qataryya, 1428 – 2007) 2st.
11. Al-Qārī, ʿlī b. Sulṭān Muḥammad, Mirqā Al-Mafātīḥ Sharḥ Mishkā Al-Masābīḥ, (In Arabic), Dār Al-Fikr, 1422 -2002).
12. Qutub, Sayyid, Fī Ẓilāl Al-Qur'ān, (Bairūt: Dār Īḥya' Al-Tturāth Al-ʿarabī.1971).7st.
13. Al-Qaḥtānī, Saīd b. ʿlī b. Wahb, The Jurisprudence of the Call in Saḥiḥ Al-Imam Al-Bukhārī, (In Arabic), Origin of the Book: Doctoral Thesis, from Imam Muḥammad b. Suūd Islamic University, General Presidency of Scientific Research Departments, Ifta, Call and Guidance, 1st , 1421.
14. Ibn Al-Qayyim, Muḥammad b. Abī Bakr, Aḥkām Ahl Aldhimma, (In Arabic), (Dār ramādī li al-nnashr- Almuʾtaman li altṭawzīʿ, 1418-1997).
15. Al-Mubārakfūrī, Ṣafiyy Al-Rraḥmān. Al-Rraḥīq Al-Makhtūm, (In Arabic), (Dār Al-Hilāl , Bayrūt), 1st .
16. Almajlis Alaʿlā Li Al-shshūn Alislāmiyya, Mawsūʿt Almafāhīm Alislāmiyya Alʿāmma, (In Arabic), (wazāra Alawqāf Almisriyya ,2004) 1st .
17. Muslim, Ṣaḥīḥ Muslim, (In Arabic), (Bayrūt: Dār Al-Fikr,2001).
18. Mokhtar Malim Musa Al Musa, O.M. 2020. The Holy Quran and the Common Space in Coexistence Malaysia as a Model. 'Abqari Journal. 22, 2 (Jul. 2020), 190-208.

19. Al-Maṭʿanī, ʿbdulʿẓīm Ibrāhīm, Mabadiʾ Al-ttʿāyush Al-silmī fī Al-islām , (In Arabic), (Dār Al-Fatḥ , Al-qāhira, 1st, 1996).
20. Ibn hishām, ʿbdulmalik, Al-Ssīra Al-nnabawiyya, (In Arabic), taḥqīq: Mustafā Alssaqqā wa Ibrāhīm Alabyarī wa Abd alhafīẓ alshshalabī, (sharikat wa maktabat wa matbaʿat Mustafā Al-bābī Al-ḥalabī wa awladihī, misr, 1375 - 1955) 2st.
21. Howaydī, Fahmī, Muwāṭinūn lā dhimmiyyūn, (In Arabic), (Dār Al-Shshurūq, 1999) 3st.
22. The Story of Islam website, Rāghīb Al-Ssirjānī https://www.islamstory.com.
23. Al Jazīra, Barnāmij Lilqiṣṣa baqiyya.
24. www.ikram.com)
25. موقع الأستاذ زكي الميلاد:: (almilad.org) ::